الترتيب في النص
The order of text
L'Ordre du texte

د.سلاكتا
تر: مفتاح بن عروس
المدرسة العليا للأساتذة بالأغواط

الملخص:

يتعلق الترتيب بربط الوحدة المتناقضة للنص من حيث هو موضوع شكلي مجرد، وللخطاب كممارسة اجتماعية ملموسة. ويقتضي الأمر حينئذ تمييز مستويين «متناقضين ومتدافعين» ولكن كذلك متناقضان متكاملان مما يستدعي الإشارة إلى علاقاتهما، فمستوى الدالية هو جانب التناقض الذي تتضح فيه إمكانيات الدلالة (نظام الإمكانيات اللسانية)، والجانب الآخر هو جانب الدلالات الملموسة المحقَّقة في مختلف الممارسات الخطابية.

الكلمات المفتاحية:.النص، الخطاب، الترتيب، موضوع، إحالة.

Abstract:

The order concerns the linking of the contradictory unity of the text as an abstract formal subject and of the discourse as a concrete social practice. At this point, it is necessary to distinguish two "contradictory and conflicting" levels, but also two complementary contradictory levels, which calls for a reference to their relations. The level of delimitation is the side of the contradiction in which the possibilities of meaning (the system linguistic possibilities) become clear, and the other side is the side of the tangible indications obtained in various

rhetorical practices.

Key words: text, discourse, order, Theme, reference.

Résumé:

L'ordre porte sur la mise en relation de l'unité contradictoire du texte en tant que sujet formel abstrait et du discours en tant que pratique sociale concrète. A ce moment, il faut distinguer deux niveaux « contradictoires et conflictuels », mais aussi deux niveaux complémentaires contradictoires, ce qui appelle une référence à leurs relations.Le niveau de délimitation est le côté de la contradiction dans lequel les possibilités de signification (le système des possibilités linguistiques) deviennent clairs, et l'autre côté est le côté des indications tangibles obtenues dans diverses pratiques rhétoriques.

Mots clés : texte, discours, ordre, Thème, référence.

مقدمة

سنبدأ أولا بتحديد الأفق النظري العام الذي نتناول فيه عبارة "**الترتيب في النص**" والذي تأخذ من خلاله هذه العبارة معناها ومرجعيتها. يتعلق الأمر بـربط الوحدة المتناقضة للنص من حيث هو موضوع شكلي مجرد، وللخطاب كممارسة اجتماعية ملموسة. ويقتضي الأمر حينئذ تمييز مستويين «متناقضين ومتدافعين» ولكن كذلك متناقضان متكاملان مما يستدعي الإشارة إلى علاقاتهما[1]. فمستوى الدالية هو جانب التناقض الذي تتضح فيه إمكانيات الدلالة (نظام الإمكانيات اللسانية)، والجانب الآخر هو جانب الدلالات

[1] - ينظر: LÉNINE, Cahiers philosophiques, Edition sociales, et Mao TSÉ – Toung de la contradiction, Editions de Pékin.

الملموسة المحقَّقة في مختلف الممارسات الخطابية. ومن هنا يتولد السؤالان الآتيان:

1- كيف ننظر إلى تحويل الدالية إلى مدلولية؟

2- بأية شروط يتم تجسيد النصوص في خطابات فعلية؟

وانقسام مفهوم الملكة (انظر سلاكتا 71-74) إلى جزأيه المتناقضين ـ الملكة الخاصة/الملكة العامة ـ هو محاولة للإجابة عن هذين السؤالين.

ورغم أن هذه البحوث فتحت المجال لبعض التداخل (يبدو بعضه مضحكا أحيانا)، فإننا لا نذهب بعيدا اليوم، وسندقق فقط في مسألة كيفية إمكانية ربط المستويين: مستوى الدالية ومستوى المدلولية. ويجب أن تفهم الدالية هنا على أنها نظام من القواعد اللسانية الشكلية وظيفتها أن تحدد، بصفة متناقضة، مجموعة من الإمكانيات ومن القيود اللسانية التي تتعلق بالبنية الآتية:

النص ⟷ الجملة ⟷ المورفيم

أما المدلولية، فهي على العكس من ذلك تستند إلى التحويلات الموازية **للنص** إلى خطاب ملموس و**للجملة** إلى **قول** و**للمورفيم** إلى **كلمة**. وهـــذا يعني أن المدلولية ترتبط بمجموعة من المعايير الاجتماعية الملموسة التي تحدد هي بدورها للمتكلمين إمكانيات وقيود ولكن في مستوى آخر. ويعني هذا أن المدلولية هي تحديد المعنى والإحالة اللذين يشير بنفينست (1966، 130) إلى تكاملهما الضروري.

«الذين يتواصلون، لهم إحالة معينة إلى المقام كقاسم مشترك. وبدون هذه الإحالة لا يتم التواصل، مع أن "المعنى" يفهم ولكن "الإحالة" تبقى مجهولة[2]». وفيما يلي التمثيل البياني المقترح مع عدد من التعديلات النظرية/المصطلحية.

مستوى الدالية [نظام من القواعد اللسانية الشكلية]
النص ⟷ الجملة ⟷ المورفيم
مستوى المدلولية [مجموع المعايير الاجتماعية الملموسة]
الخطاب [ممارسة خطابية] ⟷ القول ⟷ الكلمة

إذا قبلنا هذا التفريق فإنه يترتب عنه حينئذ عدة نتائج:

[2] ـ ولعل هذا ما أدى إلى إلغاء التنصت الهاتفي رسميا (هذا ما يقال).

1) على كل بحث لساني **أن يتموضع** حتى يتجنب التداخل الكثير المعروف بين النص والخطاب، والجملة والقول، والمورفيم والكلمة[3].
2) إذا اكتفينا بمستوى الدالية فقط ، وهذا ما نهتم به نحن الآن، فيبدو من الصعب أن تكون الجملة هي المجال الوحيد للعمل. ونحن نعرف أن الأنحاء التوليدية هي أنحاء جمل، ولا يمكن أن نتجاهل ما قدمته في هذا المجال، غير أن محدوديتها بدأت تظهر. فمثلا: كيف نعالج مسألة الإضمار، وأدوات التعريف والتنكير والإشاريات (déictiques) و«ترتيب الكلمات». وهكذا نفهم جيدا لماذا لا تستطيع الأنحاء التوليدية بمفردها، باعتبارها نظريات الجمل سليمة البناء، أن تستجيب للمتطلبات التي يصوغها تحليل الممارسات الخطابية. وإذا كان صحيحا أن الجملة ليست كمًّا من المورفيمات، فيكون صحيحا **أيضا** أن النص ليس كمًّا من الجمل المتجاورة كيفما اتفق. ونتذكر في هذا السياق الكيفية التي تفادى بها كاتز وفودور (490،1964-491، تر د.س) هذه المشكلة. وهاهي ذي إشارة للتذكير «باستثناء بعض الحالات القليلة، يمكن اعتبار الخطاب **جملة واحدة** خارج السياق إذا نظرنا إلى حدود الجمل كروابط جملية». ولمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى مقال ر.أوهمان (1973) ذي العنوان الدال «الأدب كجمل»[4].

وإذا لم يكن مفيدا أن نلح، فمن الضروري أن ننبه على ما يلي: لا يتعلق الأمر هنا بمقابلة نحو جمل بنحو نص. والقضية كلها هي أن ندرج تركيبا جمليا في علم تركيب نصي وبذلك يتم رفع اللبس الذي تعرفه «أنحاء النص».

3) ولا يكفي حينئذ تحديد النص (موضوع شكلي مجرد) بأنه مجموعة من الجمل المحققة بواسطة روابط: ومن ثم يفسر تطور النص على أنه مجرد تجاور لجمل مترابطة ومتدرج تبعا لازدياد عدد جمله، ومن ثم يجد كاتز وفودور مبررا لموقفهما. إن الذي يحكم تطور النص تناقض ضمني بين الاتساق والتدرج (وسنبسطه لاحقا). وفي هذه العلاقة لا يمكن اعتبار الاتساق مرادفا تقريبيا للانسجام.

[3] - حول هذا التمييز الأخير ينظر د.ج ديبوا (1969).

[4] - Littérature as sentences وقد ترجمت ترجمة غربية هكذا La littérature phrastique.

فالاتساق يتحدد لسانيا على مستوى الدالية والنص، أما الانسجام فإنه يندرج في سياق المدلولية كانعكاس متباين «للظروف المادية (المحددة تاريخيا) التي تنتج الخطاب»[5]. (باليبار وماشيري 1974-32). وبفضل الاتساق بصفة جزئية وترتيبه النصي يعطي الخطاب الانطباعَ بأن هناك انسجاما «داخليا» فيه.

ومن بين جانبي هذا التناقض، حاز الاتساق على اهتمام عدد من اللسانيين. فهاروغ (1968) بين الدور الهام الذي تلعبه الضمائر في تكوين النص. وهاليداي أبرز في أعماله وظيفة أدوات التعريف والتنكير والإشاريات وكذلك وظيفة المجموعات المعجمية...الخ. ويُضاف إلى كل هذا مسألة «ترتيب الكلمات» (ترتيب المورفيمات) التي تفرض الاهتمام بالجملة والنص. وهذا ما كتبه بليكنبرغ في مقدمة كتابه «l'ordre des mots en français moderne» (1928-10) «معظم الجمل ليست معزولة، فهي مدمجة في أخرى. وكل جملة تؤدي إلى الأخرى وتبعثها. ونقطة نهاية جملة هو في الغالب البداية للجملة الموالية. ويتحول مسند (prédicat) الجملة الأولى إلى سند للجملة الثانية وهكذا دواليك، أو يتلقى في بعض الأحيان الفاعل الواحد عددا من الصفات المتتابعة «attributs successifs»[6] » (10).

أو كذلك :

«السبب العادي لصدارة (antéposition) عنصر جملة غير الفاعل، يوجد فعلا في هذا الارتباط بعنصر من الجملة السابقة»(11)

وقد وصل بلينكنبرغ في مسار عمله إلى **ثلاثة** مواقع محبذة في الجملة. وها هو ذا، مثلا ملخص الفصل الخاص بالظروف.

أ- ظروف في نهاية الجملة

(2) توجد صفحة هامة عند زولا Il y a une page significative **dans Zola**

ب- ظروف في بداية الجملة

[5] - بعد بضعة أسطر أعلاه، تظهر كما يبدو، ضرورة التفريق بيت الاتساق والانسجام. ويجب أن نقرأ «ما يجب أن نبحث عنه في [الخطابات] ليست علامات [انسجامها]...» (وليس «اتساقها»). ونحيل كذلك على التقديم والكتاب.

[6] - أحد أهداف هذا العمل هو توضيح هذه الملاحظات.

(3) عند زولا توجد صفحة هامة **Dans Zola**, il y a une page significative

جـ- ظرف داخل الجملة

(4) يوجد عند زولا صفحة هامة Il y a **dans Zola** une page significative

وباختصار:

(5) بالتأكيد يوجد شيء يمكن عمله **Sûrement**, il y a quelque chose à faire

(6) يوجد شيء يمكن عمله بالتأكيد Il y a quelque chose à faire,

(7) يوجد بالتأكيد شيء يمكن عمله Il y a **Sûrement** quelque chose à faire

ومن السهل أن نلاحظ أن هذه المفاهيم الثلاثة (البداية، الوسط، النهاية) تبقى –حدسية- ومن ثم يصعب استعمالها. ويكفي مثال واحد (نفسه210) «إذا أنهى الجملة نفسها عدد من الظروف فمن الممكن أن يكون أحدها فقط هو الجديد ويكون فعلا إخباريا فيحتل إذن؟ بطبيعة الحال؟ الموقع الأخير».

النحو التوليدي وترتيب المورفيمات

نريد، اعتمادا على بعض الأمثلة، أن نشير إلى الكيفية التي طرح بها النحو التوليدي المسألة دون أن يجد لها حلا.

1) ن. شومسكي: جوانب من النظرية التركيبية (1971)

سنبدأ باقتراح مأخوذ من مؤلف شومسكي مفاده أن «الترتيب الحر للكلمات هو ظاهرة هامة ولم نولها إلا القليل من الاهتمام» (1973).

ويشير شومسكي إلى أن التحويلات النحوية لا تبدو إجراءً خاصا بالتعبير عن السلسلة التامة لإمكانيات القلب الأسلوبية. وحينما ظهرت الأسلوبية، أصبح العارفون بالمسألة في حيرة. ولم يكن ذلك بلا مبرر. فنهاية هذا الفصل بحاجة إلى أن نعود إليها. وهو يرد مرتبا هكذا:

أ)- قواعد إعادة الترتيب الأسلوبية هي مختلفة كثيرا عن التحويلات النحوية.

ب)- هذه القواعد هي قواعد الأداء (performance) (وهذا يجعل التوقع يميل نحو إبعاد المسألة من حيز الاهتمام).

ومن ثم جـ) «على أية حال، هذه الظاهرة، رغم أهميتها، لا تؤثر حاليا، كما يبدو، على نظرية البنية النحوية.»

2) المكون الأسلوبي عند ج. ر. روس (1967)

في الفصل الثالث (ص38 وما يليها) اقترح روس شروط خروج تهدف إلى «فرض ترتيب على المكونات التي تتبع الفعل» تبع ذلك اعترافات بالجهل، ثم لاحظ أنه من الصعب أن يبلور بصفة شكلية معنى قولنا «قريبة من نهاية الجملة» (39). وتبعا لشومسكي (71)، يشير روس أن هناك عددا من قواعد إعادة الترتيب تختلف عن قواعد التحويل. ويقترح إدراج القواعد الأولى ضمن مكون جديد يسمى «المكون الأسلوبي» مما يسمح ببلورة شروط خروج **خاصة بكل لغة**، وبالتالي التحكم في «مفهوم الترتيب الاختياري» (المشار إليه من قبل روس، 41). ولم يحظ هذا المكون في حدود علمنا باهتمام لافت لاحقا.

3) قواعد الحركة والمبني للمجهول

لا يمكن ربط كل قواعد الحركة بالأداء أو بمكون أسلوبي. نحن نعرف مثلا أن روس بيَّن نوعين من قواعد الحركة (ولا يزال وضعها غير واضح). حركة إلى اليمين وحركة إلى اليسار، أي نحو نهاية الجملة أو نحو بدايتها. وحديثا خصص شومسكي «قواعد إخراج» (1973-283) «تُحَوَّلُ وحدة إلى اليسار (مثل حالة المبني للمجهول)»[7] ولا نركز هنا على نكبات المبني للمجهول في النظرية التوليدية. ولكن الذي يهمنا نحن هو الحركة.

4) اتفاق نقل (une convention de transportabilité)

لقد صادف ر.س جاكندوف (ف3-1972) بدوره مسألة المواقع والحركات وقد حدد ثلاثة مواقع (وهذا يصلح في الفرنسية) هي:

(8) **موقع نهائي**: أجاب جان أمه **بأدب** jean a répondu à sa mère **gentiment**

(9) **موقع ابتدائي**: **بأدب** أجاب أمه جان jean **gentiment**, a répondu à sa mère

(10) **موقع في الوسط بين الفعل والفعل المساعد**: أجاب جان **بأدب** أمه jean a **gentiment** répondu à sa mère

ولتفسير تغيير المواقع هذا وظف جاكندوف اتفاق نقل (مقترح من كايزر) ويتمثل في وسم العنصر الذي يمكن أن يتحرك بـ (+ يمكن نقله) ولكن (جان) يتغير موضعه أيضا في الأمثلة الآتية:

(11) رؤية (جان) سهلة voir **Jean** est facile

(12) من السهل رؤية (جان) Il est facile de voir **Jean**

[7] - ينظر التوضيح الهام الذي قدمه ج و ف. ديبوا (1973).

(13) (جان) تسهل رؤيته **Jean** est facile à voir

وتم بناء قواعد للحركة لتفسير الانتقالات. والمشكلة هي هذه:
لماذا نختار (8) و(9) و(10) و(11) و(12) أو(13) ؟

5) تفكيكات ج. ك. ميلنر (1973)

يقترح ميلنر في الفصل2 التمييز بين نوعين من التفكيك:
أ) التفكيك العادي و ب) التفكيك الخاص (سنقف عند ما يهمنا هنا وهو مسألة المواقع).
أ) التفكيك العادي: «ينقل العنصر إلى طرفي الجملة إما إلى **البداية** وإما إلى **النهاية** ولكن ليس إلى **الوسط** (96) وعلى هذا الأساس يتم فحص مواقع كلمة (ce livre) "هذا الكتاب" في:

اشترى (جان) هذا الكتاب أمس «Jean a acheté **ce livre** hier»

ب) التفكيك الخاص: «ينقل العنصر إلى كامل مواقع الجملة ما عدا إلى البداية» (97). وها هي ذي بعض الأمثلة:
(6أ) (جان) البليد كسر الإناء الأزرق Jean, l'imbécile, a cassé la tasse bleue

(6ب))جان(" " " " Jean a, l'imbécile, cassé la tasse bleue
(6د) (جان) كسر الإناء الأزرق، (إنه) البليد Jean a cassé la tasse bleue,
(6هـ) * البليد، جان كسر الإناء الأزرق * l'imbécile, l'imbécile
Jean a cassé la tasse bleue
وحتى يُصبح المثال (6هـ) ممكنا يكفي أن يكون الفاعل ضميراً.

(14) البليد (هو) كسر الإناء الأزرق L'imbécile, il a cassé la tasse bleue

ويبدو أيضا أن الضمائر وأدوات التعريف والتنكير وأسماء الإشارة لها جانب مرتبط بهذا الإجراء. فـ:
(15) (ذلك) البليد (جان) L'imbécile de Jean

(16) ذلك البليد (جان) Cet imbécile de Jean

ممكنان، غير أن (17) لا يكون ممكنا:

(17)* * Un imbécile de Jean

ومنه:

(18)* بليد، هو كسر الإناء الأزرق * Un imbécile, il a cassé la tasse bleue

وما نريد أن نبينه هنا هو هذا:

أ) يمكن أن ننظر إلى الجملة من منظور المواقع «(نقاط)» غير أن التعريفات ليست واضحة. فإذا كانت البداية والنهاية واضحتين (فقط حينما يتعلق الأمر بالموقع الأول والموقع الأخير فإن **الداخل** يبقى حيزا غير دقيق.

ب) إمكانيات الانتقال مرتبطة باختيار أدوات التعريف والتنكير، وإضافة إلى ذلك يتدخل إجراء الإضمار. ولنركز هنا قليلا، فالانتقالات تكون ممكنة أو غير ممكنة حسب الحالة التركيبية للأقسام وحسب بقاء أثر الإضمار أو عدم بقائه وحسب أداة التعريف أو أداة التنكير.

(19) جان يقرأ كتابا في غرفته Jean lit un livre **dans sa chambre**

في غرفته جان يقرأ كتابا **Dans sa chambre** Jean lit un livre

(20) رأى زميلي (فاعل الجملة) الباخرة (مفعول) a vu le bateau (objet de sv) Mon ami (sujet de p)

ومنه:

(21) (هو) رأى الباخرةَ صديقي Il a vu le bateau ,mon ami

(22) الباخرة، صديقي رآها Le bateau, mon ami l'a vu

وتبين الأمثلة الموالية الدور الهام لـ أدوات التعريف والتنكير[8].

(23) رأى هذه الـ/ باخرة Il a vu le (ce) bateau

(24) هذه الـ/ باخرة صديقي رآها Le (ce) bateau il l'a vu

غير أن الانتقال ليس ممكنا في:

(25) رأى باخرة Il a vu **un** bateau

[8] - إذا كنت أُلح هنا كثيرا فلأنني لا أعود إلى هذه المسألة لاحقا.

(26) باخرة رآها Un bateau, il l'a vu

(ينظر: غبي، هو كسر الإناء) (ce: un imbécile, il a cassé la tasse)

جـ) فالموقع الأول **يبدو** خاضعا لشروط أقوى من المواقع الأخرى (النهاية والداخل) ويكون هناك تقابل بين بداية الجملة وما يتبقى منها.

6) المقابلة محدَّث عنه/حديث (Topique/commentaire)[*]

لعل القارئ يتذكر الآن أن شومسكي (1971-163) وضع تماثلا تقريبيا «بين العلاقة الأساسية مسند-مسند إليه (sujet – prédicat) في البنية العميقة» وبين العلاقة محدَّث عنه/حديث (Topique/commentaire) «وهي علاقة نحوية قاعدية في البنية السطحية» فـ(المتحدث عنه) الجملة هو دائما المسند إليه «الموجود في أقصى اليسار ومحكوم مباشرة بواسطة ج في البنية السطحية» أما الحديث فيتكون من باقي الجملة». وبطبيعة الحال فإن المحدَّث عنه و م إ المسند إليه لا يتطابقان دائما. غير أن المحدَّث عنه يكون دائما مقولة كبرى (catégorie majeure) ويكون دائما في **أقصى اليسار** مما يؤدي إلى القول بأنه في الصدارة. ونقدم الآن ملاحظتين:

أ) لقد تخلى شومسكي عن المسألة، ولكن بعد مثال أخير يبدو أنه يربط قضية المحدَّث عنه بـ (l'emphase) (مع أنهما ظاهرتان مختلفتان).

ب) تتداخل عند المترجم المقابلة محدَّث عنه/حديث (Topique/commentaire) بالمقابلة موضوع/محمول (thème/rhème).

الموضوع/المحمول (thème/rhème)[**]

سنبدأ ببعض التوضيحات التاريخية والببلوغرافية والمنهجية.

أ) بعض المراحل

الموضوع (thème) والمحمول (rhème) هما مفهومان لسانيان حددتهما مدرسة براغ (ينظر ف.ماثيسيوس) وإلى تاريخ قريب استعمل المفهومان عند

---

*- لقد استحسنا ترجمة مصطلحي **Topique** و **Commentaire** بـ **متحدث عنه** و **حديث**، وقد استندنا في هذه الترجمة إلى سياق ورد عند ابن السراج في أصوله. ويعكس هذا السياق طبيعة العلاقة بين هذين العنصرين وهي علاقة تشبه العلاقة التي تحكم التتالي Topique/ Commentaire . يقول: « والمبتدأ يبتدأ فيه بالاسم **المحدث عنه** قبل **الحديث** وكذلك حكم كل مخبر. والفرق بينه وبين الفاعل أن الفاعل مبتدأ بالحديث قبله، ألا ترى أنك إذا قلت: زد منطلق فإنما بدأت "بزيد" وهو الذي حدثت عنه بالانطلاق والحديث عنه بعده. وإذا قلت ينطلق زيد فقد بدأ بالحديث وهو انطلاقه ثم ذكرت زيدا المحدث عنه بالانطلاق بعد أن ذكرت الحديث. فالفاعل مضارع المبتدأ من أجل أنهما جميعا محدث » - ص 63

**- لقد احتفظنا بالمقابل العربي موضوع/محمول للثنائية thème / rhème مع أنه يرد ترجمة للمصطلحين المنطقيين prédicat/argument وقد شجعنا على هذا الاحتفاظ كثرة استعمالهما في مقابل rhème/thème، ومن ثم فاستعمالهما هنا يكون مقابلا للمصطلحين الأجنبيين اللذين ولدا عند أصحاب مدرسة براغ.

عدد من اللسانيين التشيكيين وخاصة ج فيرباس (1966أ، 1966ب، 1974). فقد أعطاهما مكانة في «المنظور الوظيفي للجملة»[9] ثم م.ا.ك هاليداي (خاصة 1968/1967) بعودته الواضحة إلى هذه الأبحاث، عالج المفهومين لإعطائهما الدور الرئيسي في «المكون النصي» لِنَحْوِه (والحقيقة أن اهتمامه كان منصبا على الموضوع (le thème) وفي الأخير نشر س. كينو مقالا عنوانه «Functional sentences perspective» (المنظور الوظيفي للجملة)، حاول فيه إدراج التفريق بين المفهومين في نحو توليدي.

ب) يتمثل هدفنا في اقتراح بعض التعريفات التي تحظى بالقبول بالنسبة للفرنسية فقط. وسنستند إلى أعمال فيرباس (انظر أعلاه) ولكن لإجراء تعديلات في المفاهيم. ولا نهتم هنا بتقييم التعريفات الأخرى التي قدمت في هذا المجال[10] ولا نحاول أيضا أن نحدد الفرق في النظريات التوليدية، إذ يترتب عن ذلك بعض الآثار.

جـ) ولا نهتم هنا بغير «الجمل الخبرية». ونترك الجمل الأمرية والجمل الاستفهامية إلى مقال آخر. كما نترك جانبا أيضا الجمل التقابلية (contrastives).

المنظور الوظيفي للجملة (م.و.ج)

يتحقق الفرق بين الموضوع والمحمول على مستوى خطية المكونات. ويتعلق الأمر بتوضيح المفاهيم العامة لـ البداية والوسط والنهاية في الجملة. في **م و ج** ينظر إلى الجملة على أنها يجب أن تُشَكِّل رسالة تنظم التواصل والمعلومة. ومن هنا وُظِّف عند فيرباس المفهوم الأساسي لـ «الديناميكية التبليغية» (د.ت) الذي يعكس «سمة تبرز عن طريق التبليغ أثناء تبلوره» وبعبارة أخرى فكل مجموعة من العناصر اللغوية تحمل، بحسب موقعها، درجة من **د.ت** مما يسمح بتحديد مدى مساهمة كل مجموعة في بَلورة التبليغ. وهكذا تم طرح مسألة أن **د.ت** تتدرج تصاعديا من بداية الجملة إلى نهايتها، ومن ثَمَّ تكون أول مجموعة من العناصر (أي التي توجد في أقصى اليسار) والتي تشكل الموضوع هي التي تحمل أقل درجة من **د.ت**. وتكون آخر مجموعة (أي التي توجد في أقصى اليمين) أو المحمول هي التي تحمل أكبر

[9] - ينظر Papers on functional sentence perspective, éd. by DANEŠ (1974) .
[10] - بإمكان القارئ أن يعود إلى الأعمال التي أشار إليها فيرباس وهاليداي وكينو....الخ.

درجة من **د.ت**. وما بين الموضوع والمحمول يوجد العبور (عب) الذي سنعود إليه لاحقا.

ليكن هذا المثال الأول:

(27) Tout parlementaire (th) désire (tr) un petit journal (rh)
كل برلماني (مو) يرغب (عب) في نشرة صغيرة (مح)

ويمكن للجملة أن تحتوي على عدة موضوعات أو على عدة محمولات:

(28) En France, tout parlementaire désire un petit journal pour sa circonscription
في فرنسا، كل برلماني يرغب في نشرة صغيرة لمقاطعته.

وهكذا، فكل ما يأتي قبل العبور يسمى موضوعا وكل ما يأتي بعد العبور يسمى محمولا غير أن الموقع الأول يمكن تسميته الموضوع الحقيقي (موح) (thème propre (th p)) والموقع الأخير المحمول الحقيقي (rhème propre (rh p)) [11]. وإذا ظهرت موضوعات أخرى بعد (موح) فيكفي ترتيبها:

موح ← مو1 مو2 ....

وكل واحد من هذه المواضيع يحمل درجة أكبر من **د.ت** بحسب توسع الجملة نحو اليمين. وإذا كان هناك موضوعان فإن الثاني منهما في الترتيب يعتبر أكثر أهمية من الأول من الناحية التبليغية، والحال نفسها حينما يتعلق الأمر بمحمولين. ونلاحظ هنا: الموقع الأول (موح) يحمل الدرجة الدنيا من د.ت. والموقع الأخير (مح ح) يحمل الدرجة العليا من د.ت. لنتأمل هذا المثال:

(28) أ) En France (th p), tout parlementaire (th) désire (tr) un petit journal pour sa circonscription (rh p)
في فرنسا (مو ح) كل برلماني (مو) يرغب (عب) في نشرة صغيرة (مح) لمقاطعته (مح ح).

وفيما يتعلق بموقع **العبور**، فلابد من أن نجري تمييزا هاما: فكل صيغة فعلية مركبة تفكك إلى عبور فعلي (عب ف) (الفعل المساعد)، وعبور (عب) (الفعل) وهكذا ففي:

[11] - يوجد إذن موضوع حقيقي واحد فقط ومحمول حقيقي واحد فقط.

(29) Mon ami (th p) a (th p) rencontré (tr) son député (rh)[12]
صديقي (مو.ف) كان (عب.ف) قد التقي (عب) بنائبه (مح).

وتكون المواقع المجردة في الجملة (يكون التدرج التصاعدي مستمرا بين مو ح و مح ح) بهذا الشكل:

(30) مو ح ← مو1 .....مون ← عب ح ← عب ← مح2 ← مح1 ← مح ح

ومن حيث المبدأ فإن عدد الموضوعات وعدد المحمولات غير محدود. ولكن لا يوجد إلا مو ح واحد و مح ح واحد.

سنوضح الآن بعض النقاط:

1) في البداية، ما يميزنا عن فيرباس (الذي نتبنى مصطلحاته) هو أن المواقع المحددة في الجملة الخبرية هي مواقع ثابتة بالنسبة إلينا. وهذا فرق أساسي.
2) ليس من الضروري أن تكون كل المواقع الممكنة متحققة. ها هما ذان مثالان:

(31) Tout parlementaire (th) désire (tr) avoir (rh) un petit journal (rhp)
كل نائب (مو) يرغب (عب) في الحصول (مح) على نشرة صغيرة (مح.ح)

(32) «Pendant un demi siècle (th p), les bourgeois de Pont-l'Évêque (th) envièrent (tr) à M^me^ AUBAIN (rh) sa servante Félicité (rh p)»

خلال نصف قرن (مو ح) بورجوازيو بون ليفيك (مو) يحسدون (عب) السيدة أوبين (مح) في خادمتها فيليسيتي (مح ح)

3) ربط المنظور الوظيفي للجملة (م و ج) بالتركيب

توجد شروط تركيبية (انظر أعلاه) يجب أن تتحقق إجباريا حتى يتحول قسم ما من الأقسام إلى مو أو مح (الإضمار وعدمه، اختيار المحددات (déterminants)...الخ).

[12] - في الجمل التي تحتوي على موضوع واحد أو محمول واحد فلا فائدة من التمييز بين موح/مو أو مح ح/مح.

أ) تحويل المفعول إلى موضوع/تحويل الفاعل إلى محمول

(33) جان يحب هذا الكتاب (مح ح) Jean aime ce livre (rhp)

(34) هذا الكتاب (مو ح)، جان يحبه Ce livre (thp), Jean l'aime

ويكون لتحويل المفعول إلى موضوع هنا أيضا أثر من حيث وضع الفعل في الموقع الأخير مما يحوله بالضرورة إلى محمول.
ويتحول الفعل **aime** (يحب) من عبور في (33) إلى محمول في (34).

ب) فإمكانيات التحويل إلى موضوع (أو محمول) يتحكم فيها إذن جانب التراكيب- واختيار إمكانية ما مرتبط بمستوى آخر بتنظيم الجملة كرسالة. لتكن هذه الأمثلة:

(35) رؤية جان سهلة (تحويل الصفة إلى مح) Voir Jean est **facile**

(36) من السهل أن رؤية جان (تحويل الاسم إلى مح) Il est facile de voir **Jean**

(37) (جان) من السهل أن يُرى (تحويل الفعل إلى مح) Jean est facile **à voir**

جـ) تملك الفرنسية المنطوقة حرية أكبر خاصة فيما يتعلق بمضاعفة الموضوع.

(38) هذا الصديق، التقى بأرسيل Cet ami a rencontré Ursule

فالفاعل يوجد في موقع مو ح/مو، والفصل بواسطة الضمير يجعل من الممكن مضاعفة الموضوع.

(39) هذا الصديق (مو ح) هو (مو) التقى بأرسيل Cet ami (thp) il (th) a rencontré Ursule

4) تسمح الفرنسية بـبناء رسالة بدون مو، فـ **il y a** (يوجد) و **c'est** بإمكانها إدراج مو(أو مجموعة من المواضيع) مباشرة.

(40) «Il y eut une fanfare, c'était une quadrille…» (E. Zola. Nana, 1422)
(لقد) كان (هناك) ابتهاج كبير، كانت رقصة يقوم بها أربعة أزواج من الراقصين

يلعب **"il y a"** و **"c'est"** دور عامل التفخيم بشرط ألا تتحول مواقع المجموعات التركيبية، وهكذا، ففي بعض الحالات يمكن لـ مو أن يفخم (ولكن هذا لا يكون مع مح أبدا وإلا تحول إلى مو). وبعبارة أخرى، وعلى سبيل المثال، يمكن أن يتحول المفعول إلى مو ويفخم (وهذان الإجراءان لا يتداخلان).

(41) أرسيل رأى هذا الصديق (مح ح) Ursule a vu **cet ami** (rhp)

(42) هذا الصديق (مو ح) أرسيل رآه **Cet ami** (thp), Ursule l'a vu

(43) هذا الصديق هو الذي رآه أرسيل (مو ح+تفخيم) C'est cet ami (thp+emphase) qu'Ursule a vu

5) وفي هذا المنظور من غير الممكن الحسم حول الأسبقية بين المبني للمعلوم والمبني للمجهول: فهما وسيلتان للقيام بعمليات التحويل إلى مو وإلى مح. واختيار المبني للمجهول (إذا كان ذلك ممكنا تركيبيا) تتحكم فيه المجموعة التي تعتبر الأهم من الناحية التبليغية.

(44) الجد (مو) بنى البيت (مح) Le grand-père(th) a (thp) construit (th) la maison (rh)

(45) البيت بُني (من الجد) (مح) La maison (th) a été construite par le grand-père (rh)

وإذا بدا المثال (46) اللاحق غريبا، فذلك لأن الانتقال إلى المبني للمجهول يقوم فقط بتحويل المنفذ (agent) إلى (مو ح).

(46) (من الجد) بُني البيت Par le grand-père, la maison a été construite

ولا شيء يمنع عملية تفخيم المنفذ ـ الموضوع فنحصل على:

C'est par le grand-père (thp) que la maison (th) a été construit (rhp) (47)
إنه بواسطة الجد (مو.ح) البيت بنى (مو)

وبالإضافة إلى ذلك نرى كيف أن (47) يمكن استعماله كجملة تقابلية (contrastive).

C'est par le grand-père(et non pas la grand-mère) que la maison a été construite. (48)
إنه بواسطة الجد (وليس الجدة) بني البيت

وباختصار فإن المنظور الوظيفي للجملة يسمح بـ «الجمع بين اختيارات تركيبية مختلفة »
لـ «توزيع الديناميكية التبليغية»[13] (ف.دانش. 18،1974).

التدرج الموضوعاتي

بقي أن نبين كيف يسمح **م و ج** بالتفكير في مسألة التناقض بين الاتساق والتدرج الذي يتخلل بناء تدرج النص. وبما أننا حددنا السلسلة مو عبور مح على أنها مجموعة مبنية من المواقع الثابتة فبإمكاننا استغلال مقالين لـ ف.دانش (1970-1974). لقد لاحظ دانش بدقة ، أن مو من حيث إنه الأفقر من ناحية القيمة الإعلامية (من حيث موقعه)، يلعب دورا أساسيا في بناء النص. ومن زاوية الاتساق ينظم النص كسلسلة من المواضيع، وإدراج محمولات جديدة يكون لضمان التدرج. وقد بلور دانش مجموعة من النماذج التي لها منزلة «البنى المجردة» (1974، 121). ومن الواضح أن الأمر لا يتعلق بمنهج وصفي فهذه النماذج تقترح تفسيرات. ولا شيء يسمح بالقول إن الهدف من هذه النماذج هو تمثيل ما يجري في الواقع.

سنبدأ بأبسط البنى[14] وهي بنية التدرج الموضوعاتي الخطي[15]. فأول جملة في النص يمكن أن تحتوي على مو وعلى مح فتكون بهذا الشكل مو$_1$ مح$_1$ ويبنى النص هكذا (مع تحقيق الاتساق والتدرج):

[13] - يجب أن لا نخلط بين التفرقة معطى/جديد وبين التفرقة موضوع/محمول. فالدرجة العليا من **د.ت** يمكن ان تقع على المجموعة الجديدة كما يمكن أن تقع على المجموعة المعطاة (المعروفة). فيمكن مثلا أن تكون مجموعة جديدة أقل أهمية من الناحية التبليغية مقارنة بمجموعة معروفة.
[14] - قد يكون مهما إعادة قراءة مقاطع بليكنبرغ التي أوردناها سابقا.
[15] - رغبة في تحقيق وضوح أكبر في العرض، نضع جانبا موقع عب.

يصبح مح$_1$ مو$_2$ ويضاف إليه محمول جديد (مح$_2$). ويتحول (مح$_2$) بدوره إلى مو$_3$ في الجملة الثالثة ويضاف إليه أيضا محمول جديد. وهكذا دواليك. ومن ثم نحصل على النموذج الآتي:

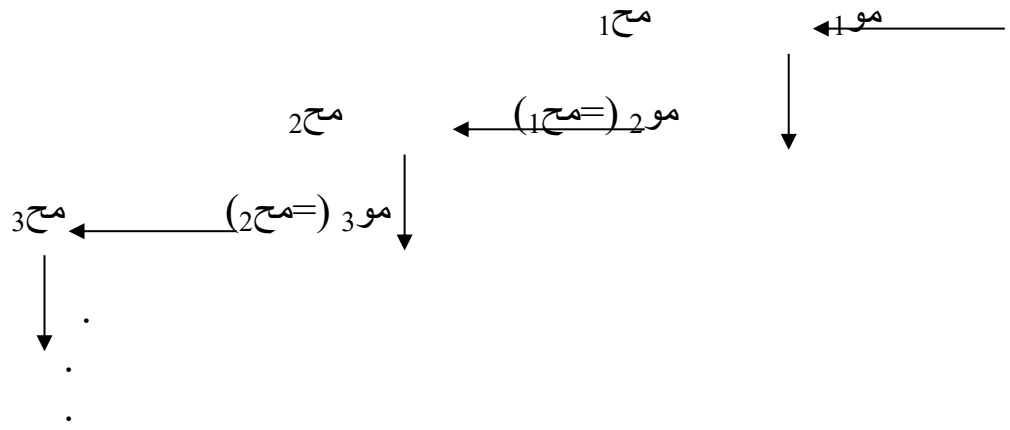

وهذا مثال يجسد هذا النموذج البسيط:

(50) «في البحر توجد باخرة. في الباخرة توجد غرفة. في الغرفة يوجد قفص. في القفص يوجد عصفور. في العصفور يوجد قلب...»

وكل التآلفات ممكنة، وسنعطي تبعا لدانش بعض النماذج الأخرى، وسنتبع كل واحد منها بنص مجسد له.

التدرج الموضوعاتي بموضوع مستمر

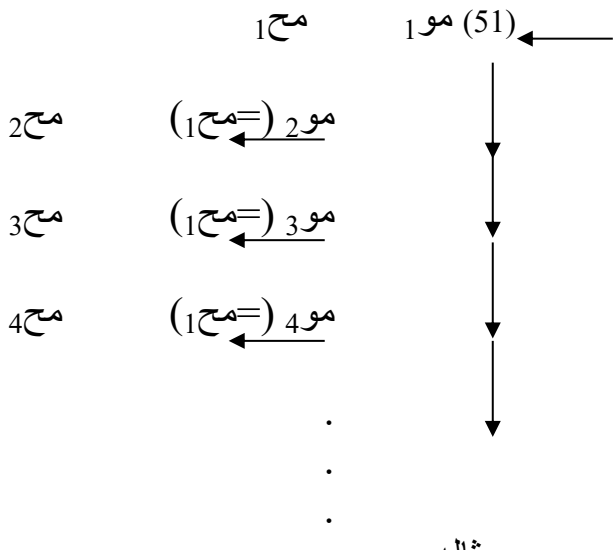

ومثاله:

في البيت القديم، كانت هناك خادمة (محح). الخادمة كانت تقوم بالطبخ؛ (و) تصلح الكراسي، (و) تعالج الحيوانات[16].

التدرج الموضوعاتي بموضوع متجزئ

مثلا حسب مح/مح ح، لتكن الجملة الأولى من نوع: مو مح مح ح يمكن لفقرة ما أن تبلور أولا مح ح، ومن ثم تبلور فقرة أخرى مح1. وهذا بالضبط ما تتضمنه الفقرات الثلاث الأولى من الفصل الأول [17] من " un cœur simple" (قلب بسيط). ولنبدأ بالنموذج.

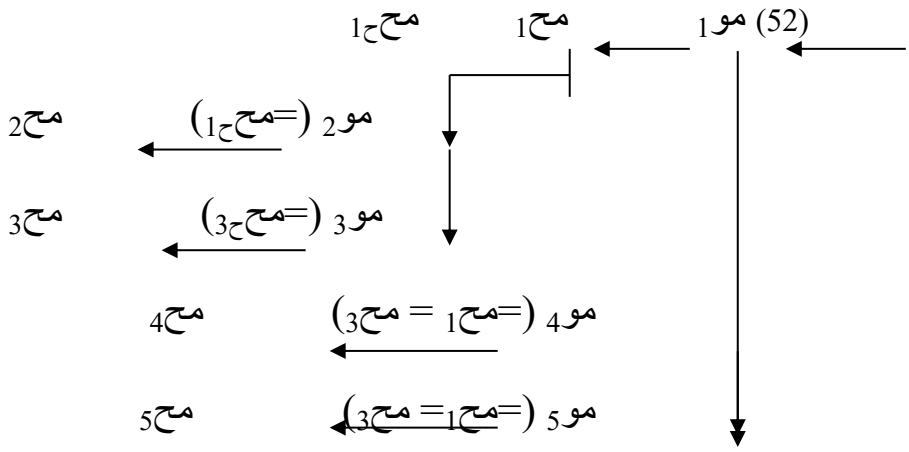

ومثاله:

خلال نصف قرن، غنيات بون ليفيك يحسدون السيدة أوبين (مح1) في خادمتها فيليسيتي (محح1). فبمائة فرنك في السنة (مو ح) (هي) (مو=محح1) كانت تقوم بالطهي والتنظيف (...) وبقيت وفية لسيدتها التي لم تكن إنسانة لطيفة (مح ح = مو1).

---

[16] - المثال بالفرنسية:

«Dans la vieille maison, il y avait une servante (Rhp). La sernante faisait la cuisine ; elle réparait . les chaises ; elle soignait .(M.SCHWO B: Le livre de monvelle, 70, le livre de poche) les animaux»

[17] - نقترح تحليلا مفصلا لهذا الفصل في مكان آخر.

(هي) (مو=مح$_1$=مح ح السابق) تزوجت بشاب وسيم (...). وحينئذ، (هي) باعت أثاثها[18].

إن العلاقات بين الموضوع والمحمول التي تعكسها الضمائر تحقق للنص الاتساق والتدرج في الوقت نفسه.

نقف بأمثلتنا عند هذا الحد، ولكن تجدر الإشارة مجددا إلى أن جميع النماذج تكون ممكنة ويمكن أن تتمازج. ولا يكون صعبا أن يُقترح نموذج للقارئ وتعطى له الفرصة لينسج على منواله أو ليجسده في نص بحسب الخطاب الذي يراد منه أن ينجزه، وسنتبين هذا بالتفصيل في مكان آخر وعلى أية حال، يبدو أن هناك أهمية ما للفت الانتباه إلى مكانة الدالية- الترتيب في النص- باعتبارها شرطا ضروريا ولكن غير كاف لمعنى الترتيب في الخطاب.

[18] - المثال بالفرنسية هو:

«Pendant un demi – siècle, les bourgeoises de pont – l'Évêque envièrent à Mme Aubain (Rh1) sa servante Félicite (Rhp1). Pour cent Francs par an (Thp), elle (Th=Rhp1) faisait la cuisine rt le ménage (…) et resta fidèle à sa maîtresse qui cependant n'était pas une personne agréable (Rhp=Rh1). Vendait ses immeubles.